

الأنساق الثقافية في الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة-جيم لسارة النميس أنموذجا-
cultural patterns in the contemporary algerian feminist novel - c by sarahnims as a model

منال بورقوبة¹

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية-جامعة البليدة2

em.bouragouba@univ-blida2.dz

تاريخ النشر: مارس 2026	تاريخ القبول: 2024/04/15	تاريخ الإرسال: 2023/12/28
------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

لا مرأى في أنَّ الرواية من أكثر الأجناس الأدبية التصاقا واحتكاكا بالواقع والأكثر تعبيراً على جلِّ التحولات الدائمة في المجتمع فهي صورة تثير جملة من الإشكالات الفكرية، والهواجس الثقافية التي تشغل المبدعين والمثقفين، وباعتبار أنها لا تخلو من ترسبات ثقافية يستشفها التمرد الدلالي الذي يأبى الخطاب الأدبي التصريح به، فإننا نتغيا من خلال هذه الدراسة للكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة التي فاضت بها رواية "جيم" لسارة النميس. من نسق ديني، نسق سياسي، الأنوثة والذكورة، تمثيلات الجسد.

الكلمات المفتاحية: الأنساق الثقافية، الرواية النسوية، جيم، سارة النميس.

Abstract:

There is no doubt that the novel is one of the literary genres that is most closely linked to reality and most expressive of most of the permanent transformations in society. It is an image that raises a number of intellectual problems and cultural concerns that preoccupy creative people and intellectuals, and given that it is not devoid of cultural sediments that are revealed by semantic rebellion that literary discourse refuses to express. Through this study, we seek to reveal the implicit cultural patterns that emerged in the novel "Jim" by Sarah Al-Nims. From a religious pattern, a political pattern, femininity and masculinity, and representations of the body.

Key words: Cultural patterns, the feminist novel, Jim, Sarah Al-Nims.

em.bouragouba@univ-/manalbouragouba@gmail.com

بورقوبة

¹منال

blida2.dz

*** **

مقدمة:

استحوذ النَّصُّ السَّرْدِيُّ على ذائقة المتلقين وذلك لهيمنته على النقد الأدبي الحدائي، سيما جنس الرواية باعتباره المتقصد للبنية الحدائية، وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى النظريّة النقدية المعاصرة التي تحولت من قراءة النصوص الإبداعية إلى قراءة الأنساق الثقافية، ومن ثم انبج النقد الثقافي وكانت النقلة المعرفية التي اتسمت بميلاد الدراسات الثقافية، وطرأت بذلك تغيرات على مستوى القراءة والتأويل حيث أضحت قراءة النصوص تستهدف الأنساق المضمرة التي يُحيل بها النَّصُّ.

وتأسيساً على هذا، تروم هذه الدّراسة البحثية الموسومة بـ " الأنساق الثقافية في الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة- جيم لسارة النمّس أنموذجاً—إلى تسليط الضوء على مجموعة من الأنساق الثقافية و التي أخذت منحى مخالف لما عرفته الكتابات النسوية " النسائية" في السنوات السالفة، ورواية جيم لصاحبها سارة النمّس مشحونة بالموضوعات التي اعتنى بها النقد الثقافي في مجال الدّراسات النسوية، لهذا ارتأيتُ في دراستي هذه إلى الإجابة على الإشكالية التالية: ما هي أهم الأنساق الثقافية التي تشكلت منها رواية جيم؟

وللإجابة عن الإشكال المطروح اعتمدتُ في دراستي على مسارين هما: مسار نظري نروم من خلاله تقديم ماهية الأنساق الثقافية وكيف يكون النَّصُّ في ظل هذا النوع من النقد حادثة ثقافية تمخضت نتيجة إلحاح الأنساق المضمرة، ومسار تطبيقي نروم من خلاله استكناه الأنساق التي تضمنتها رواية جيم.

رحبت مرحلة ما بعد الحداثة بالنقد الثقافي، وذلك بكسر وتقويض هيمنة المناهج البنائية واهتمامها بكل ما هو مُهمش وتجريد الخطاب من حلته الجمالية ليكتسي حلة ما وراء النَّصِّ وحقيقته وما يهيمن عليه من قوانين فكرية، وذلك

ما يدفع النقد الثقافي يُنادي بحتمية التواصل بين الأنساق ليعرض صور ثقافية واجتماعية وتاريخية تعمل على عولمة العمل الأدبي ليفصح عن رؤاه الثقافية.

1. ماهية الأنساق الثقافية:

اتسمت مرحلة ما بعد الحداثة بالتوسع النقدي، حيث تضمنت ما وراء الأدبية إلى العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية التي اخترقت المجال لتكوين النقد الثقافي *cultural criticism* متخذة من النص أداة كاشفة عن أنظمة ثقافية، ومن هذا المنطلق تجدر الإشارة إلى الأنساق الثقافية باعتبارها أحد مرتكزات النقد الثقافي، فهي تحمل على اختلافها وتنوعها في النص الأدبي أهمية بالغة في إنتاج الدلالة على أساس أن هذه الأخيرة تُعبر عن نظام ثقافي منغرس في ثنايا النص، فالأكيد أن الدلالة النسقية –والتي دعا عبد الله الغدامي على إضافتها –والجمل الثقافية لا تظهر بشكل واضح في النص لأنها تنتج عن قصيدة المبدع.¹

إذ نجد الناقد لوري لوتمان y.lotman يعرف مصطلح "النسق" وذلك من خلال مقارنته الثقافية أنه "دالا على تاريخ الثقافة والأدب والفكر الاجتماعي بصورة عامة".² فالأنساق من منظور لوتمان تُحدد الخصائص الكلية والشاملة للثقافة الإنسانية، وذلك عن طريق تتبع تطورها وتحولاتها عبر العصور.

ويُضيف الناقد المغربي عبد الفتاح كليطو في تعريفه للأنساق الثقافية في مؤلفه الموسوم "المقامات السرد والأنساق الثقافية" بأنه: "مواضعة اجتماعية، دينية، أخلاقية، استيقية، تفرضها في لحظة معينة من منظور الوضعية الاجتماعية التي تقبلها المؤلف وجمهوره".³

وقد أعرب عبد الله الغدامي في تعريفه للأنساق ضمن مشروعه النقدي بأنها "أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما"⁴ ويرى كذلك أن النسق "يتحدد عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد"⁵ وانطلاقا مما سبق يُمكن القول: أن الأنساق الثقافية هي أنساق تتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية وتتقن الاختفاء تحت عباءة النصوص، ويكون لها دور في توجيه عقلية الثقافية وذائقها ورسم سيرتها الذهنية والجمالية لأن النقد الثقافي مشروع في نقد الأنساق والنسق مرتبط بكل ما هو مُضمّر.

أما يوسف عليّات فيتخذ من النسق الثقافي أداة لتعرية كوامن النص وسبر أغواره، جاعلا "الأنساق المتمركزة في البنية النصية أهمية كبيرة للكشف عن تشكلات هذه الأنساق ووظيفتها المؤسسة للمعاني والرموز والدلالات"⁶ ليستقرئ

النصوص في سياقاتها الاجتماعية والتاريخية والسياسية ورصد دلالاتها المتنامية وفك شفراتها المضمرة، التي تقوم على إستراتيجية لا متناهية تسمح بتشكيل أنساق أخرى مُغايرة.

ومن هذا المنطلق أضحى الاهتمام بالأنساق الثقافية لدى الروائيين الجزائريين سبيلا فنيا يخلق نمط كتابة مُغاير، وبعدا معرفيا يُراهن عليه المبدع لطرح أسئلة ترتبط بالواقع وقضايا المعقدة، وهذا ما جعل الخطاب الروائي الجزائري يظفر بالازدواجية وذلك نتيجة انفتاحه على الأنساق الثقافية التي أكسبته خصوصية الرواية وحليتها، وتجعله آلية من آليات التجديد، فالرواية عامرة بتمثلاتها الثقافية التي تعكس الأنساق الكامنة في المجتمع وتنقل أبعادها وتبرز تجلياتها لسرد تاريخ الأمة وتعبر عن تجاربها وثقافتها وحياتها.⁷

ولهذا تعدّ الرواية من أكثر الأجناس الأدبية انفتاحا على الأنساق الثقافية نظرا لحجمها، وتمتعها بإمكانية الرد والوصف والتحليل، كما يُمكنها محاكاة الواقع الثقافي وتمثيله على الصعيدين الأيديولوجي والتخييلي.

2. تمظهرات الأنساق الثقافية في رواية جيم لسارة النمى:

"جيم" رواية من تأليف الروائية الجزائرية سارة النمى، صدرت عام 2019 عن دار الآداب بيروت، تسرد فيه الروائية أحداث الرواية، بمعظمها، والتي كانت في الجزائر، وتتمظهر على المستوى الوقائعي في رحلة بين مدينتي وهران و تمنراست ، وفي علاقة قصيرة دامت عشرين ساعة، آلت بعد ذلك إلى الانفصال بين بطلي الرواية "لمين" و "جيم".

1.2. ملخص الرواية:

تُقسم سارة النمى روايتها إلى ثلاثة أسفار... السفر الأول والاعترافات الأخيرة، السفر الثاني الجحيم الذي حسبناه جنة، العشاء الأخير... تسرد ثلاث قصص تختلف شخصياتها حيث تبدأ الرواية بسرد قصة البطل "لمين" ثم تنتقل للحديث عن قصة "جيم" ثم تعرض قصة "جهاد" والد جيم.

تستهلُّ الكاتبة روايتها بالصدفة الروائية التي جمعت الشخصيتين اللذَّان يمثلان المحور الأساسي في الرواية وهما "لمين" و"جيم" اللتين تختلفان، وتتقاطعان في نقاطٍ كثيرة. أما الاختلاف فيتجلى، في الشكل والطبع والمضمون، ويتمظهر في فقر لمين، بطل الرواية، ودمامة منظره، وانسحاقه، من جهة، وفي جمال جيم الوحشي، ودلالها، وتكبرها، من جهة ثانية. وأما التقاطع فيكمن في أنَّ كليهما غريبٌ، تائه، مذنبٌ، متألَّم، هاربٌ ومتجرد من ماضيه إلى زمن آخر يرتاح فيه من ثقل الذنوب، في حالة البطلة، أو فار من مكانه إلى مكانٍ آخر لا ناس فيه ليعاقب نفسه، كما في حالة البطل.

يُمثل سقوط دفتر جيم في طريقها إلى الحافلة وعثور لمين عليها بداية وقائعية للعلاقة العسيرة بينهما، حتى إذا ما جلس إلى جانبها في الحافلة كان ذلك سبباً لإذابة الجليد بينهما، ويُشكلُ اعترافه بقتل والدته سبباً ليُثير فضولها ويذيب البعض الآخر فتقرر جيم الإنصات إلى حكايته حتى يُتعبه الحكي ويتعبها الإصغاء، فيقرران تبادل الأدوار لتحكي هي ويصغي هو. وهكذا، تتطور العلاقة بينهما خلال الرحلة، وتمر في محطات من المشاركة والتعاطف والتفهم، ما يتمظهر، ذات لحظة، في تأبطها ذراعه ووضع رأسها على كتفه.

نحن إذاً إزاء حكايتين اثنتين، متشابهتين ومتباينتين في آن واحد، تتمخَّص كلُّ منهما عن شخصية غريبة، مذنبه، متألمة، يتيمة، هاربة من واقعها، تحتاج إلى أذن تُصغي لها، الأمر الذي يلفيه كلُّ من البطلين في الآخر، على اختلاف وتنوع درجة هذه الحالات بينهما. فيبدوان كمريضين نفسيين يفضي كلُّ منهما باعترافاته الجسيمة إلى الآخر لعلَّه يُخفِّف من ثقل الإحساس بالذنب. هذه العملية تتم في الرواية بالتعاقب بين الحكايتين بحيث يسرد لمينفي البداية عن ذنبه في موت أمه، وأنه السبب في وفاة أصدقائه، وسبب موت ورثة صديقه، وتعقبه هي بعد الانتهاء من حكايته، أو بالتقاطع بحيث تتسرب شذرات من حكاية كلٍّ منهما إلى حكاية الآخر خلال قيامه بعملية الحكي. والمفارق، هنا، أن لمين الذي كان يرزح تحت وطأة ما يعتبره ذنباً ارتكبها ومعاناة عاشها يكتشف أن ما ارتكبه وعاشه لا يُعدُّ شيئاً بالمقارنة مع حكاية "جيم" وذنوبها ومعاناتها⁸.

استطاعت الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة الإفصاح عن مكان البوح الأنثوي، وإماطة اللثام عن جلِّ أشكال الإقصاء والهيمنة التي تُمارسها السلطة البطريكية على المرأة، ساعية بذلك مواكبة العديد من مستجدات الساحة الأدبية والثقافية، على الصعدين العربي والغربي، ولعلَّ أبرز الروايات الجزائرية التي تميزت بهذه السمات رواية "جيم" باعتبارها نواة إبداعية تمكنت الروائية أن تنطلق من خلالها وتستغلها؛ بُغية محاكاة الواقع العربي المأزوم دينياً

وثقافيا وسياسيا، لتبلغ بها أعلى درجات الوعي بالكتابة المبتكرة لأنماط فنية غير معهودة ومتفردة تبوح بواسطتها عن مواضيع يندر الخوض فيها لكونها تحاول استنطاق المسكوت عنه من الثالوث المحرم المتمثل في الدين السياسة والجنس، وسنعرض فيما يلي جملة الأنساق الثقافية المضمرة في رواية جيم.

2.2. اشتغال المحذور الديني في رواية جيم:

شغل الخطاب الديني مساحات واسعة في متن الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة، باعتباره مرآة عاكسة للثقافة الجزائرية ومُشخصا للمنظومة الفكرية التي ينتهجها أفراد المجتمع، الذين يفسحون للدين مجالا واسعا في حياتهم كتعبير عن الالتزام والاستقامة، كما يُعدّ الدين المقياس الأكثر دقة لأخلاق و آداب المجتمع، والمحذور الديني في الرواية هو "المساس بقداصة الدين، وكل ما يمت له بصلة من قريب أو بعيد، بمعنى أنه الأمور التي لا يجب التحدث فيها تصريحاً، أو تلميحاً، أو إعلان ممارستها، أو القيام بانتهاكها"⁹.

فسعت بذلك الروايات إلى اختراق المحذور الديني بُغية إنتاج خطاب مُغاير للذائقة العربية والمجتمع، كون الكتابة ليست مُمارسة لغوية فقط، بل لها علاقة وطيدة بالمجتمع من حيث كونها ممارسة اجتماعية، فاللغة حسب قول نورمان فاركوف Norman Fairclough جزء من الحياة الاجتماعية لا يُمكن اختزالها، وبينها وبين عناصر الحياة الأخرى علاقات منطقية"¹⁰ فمن خلال هذا الطرح نتحدث عن المحذور الديني العقائدي والذي يُقصد به جملة المحظورات الدينية التي تتعلق بالمعتقدات وهاته الأخيرة هي ما تنعقد عليه النفس، وما تسرد في مكنوناتها ويختلج في خواطرها " وهي ما يُؤمن به الإنسان ويعقد عليه قلبه وضميره، ويتخذ مذهباً وديناً يدين به"¹¹.

بالنسبة لرواية " جيم " نجد الرائية سارة النميس تعرض فكرة المحذور الديني العقائدي والذي يكون محله القلب، وما تنطوي عليه النفس، ويُمكن مداراته، كالإلحاد مثلا الذي لا يُعرف على الإنسان إلا إذا صرح به، حيث يظهر الإلحاد في رواية جيم في العديد من النصوص والتي نذكر منها:

قول جهاد: "لست متدينا... لا أصوم رمضان... لا أعترف بالقرآن كتابا سماويا.. ولا بالكُتب الأخرى"¹² وتُضيف جيم في حديثها عن والدها جهاد: "تغيرت مُعتقداته الدينية كليا، وما عاد يؤمن بالله، بل وأجبرني على الكُفر به أيضا... كل الأديان

بالنسبة إليه كانت خرافات غيبية من اختراع الإنسان... وذلك الله ليس سوى وهم اختلقه الإنسان ليُبهرَّ وجوده ويحتفي به من ضُعبه".¹³

فالاعتقادات هي التي لا تتعلق بكيفية العمل؛ مثل اعتقاد ربوبية الله، ووجوب عبادته، واعتقاد بقية أركان الإيمان المذكورة¹⁴ فنكران هذه اليقينيات، وعدم الاعتراف بها، يعدّ محظورا دينيا، فالمُلاحدون والمشككون بيوم القيامة، وحقائق مثل وجود الجنة والنار، والثواب والعقاب؛ لا محالة في المحذور العقائدي في الديانات السماوية، وعلى رأسها الإسلام.

ثم تتحدث الروائية سارة النميس عن المحذور الديني المادي والذي يُمثل سلوكيات الفرد وما يصدر عنه من تصرفات وأقوال وأفعال تكون في جملتها ظاهرة للعيان، لما كانت هذه التصرفات ليست إلا ترجمة وإفصاحا لما تنعقد عليه النفس جاءت في المرتبة الثانية، فالمحذور الديني المادي إذن هو جملة السلوكيات المخالفة لما نص عليه الله عز وجل في كتابه سواء بنص صريح أو ضمني،

ومن بين هذه المحظورات تذكر الكاتبة شرب الخمر والذي يُعدّ من المحرمات التي حرّمها الدين الإسلامي ونهى عنها، وحظر استهلاكها، وإن كان ذلك يخص كل الديانات ونذكر قوله تعالى في تحريم الخمر "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (90)¹⁵.

ويظهر شرب الخمر في نص الرواية وذلك في بعض نصوص رواية جيم "أنجرع الشراب سيء المذاق"¹⁶، "زجاجات كحول فارغة"¹⁷ بعد ذلك تذكر سارة النميس الزنا والتي تعدّ من المحرمات ويظهر ذلك في قوله تعالى: "الرَّأْيِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ" (2)¹⁸. فتحريم الزنا لم يقتصر على جنس الأنثى دون الذكر وإنّما الحكم يشملهما الطرفين، وتُظهر الروائية هذا في العلاقة التي كانت بين لمين وصديقتها وردة والتي انتهت بانتحار وردة

3.2. النسق السياسي:

سايرت الرواية منذ نشأتها كل التحولات الاجتماعية والسياسية في العالم، بل وشاركت في صنع وبلورة رؤيا الرأي العام، ولهذا لم تكن الرواية الجزائرية بمنأى عن التطورات الحاصلة في الوطن، حيث ظهرت مجموعة من الأسماء الجزائرية التي سخرت أعمالها الروائية لفضح وتعرية السياسة الاستعمارية، لتتحول فيما بعد لرصد الوضع السياسي بعد الاستقلال

الذي عارض الإيديولوجيا السائدة ثم انتقلت لتصوير المشهد المروع الذي عاشته الجزائر في العشرية السوداء المرحلة الدموية التي تمثل أخطر مرحلة في تاريخ الجزائر، لهذا انصب جهد الروائيين الجزائريين في تصويرها والتنقيب عن بواعثها، ومن هذا المنطلق تناولت سارة النمى النسق السياسي داخل خطابها الروائي المنبعث من قيمة العنف المتوغلة في حياة الجزائري، ولهذا نلفي هذا النسق واضحا ومرتبيا بأحداث القصة. فقد مثلت الروائية لهذا النسق بسردها لبعض الوقائع نذكر منها:

حديث البطل لمين عن موت والده مذبوحا من طرف جماعة إسلامية... فيقول للبطل جيم: "أنت لم تعيش في الجزائر خلال سنواتها الدامية، عشر سنوات كاملة من الحرب الأهلية، نزفنا فيها دماءنا حتى ما عدنا نعرف من يقتل من"¹⁹.

"التفجيرات التي استهدفت الأسواق والمحطات"²⁰ المجازر التي كانت تمحو قرى بشيوخها وأطفالها وحيواناتها، قرية كاملة يتم تصفية مكانها..."²¹ قرطوفة تضررت كثيرا من الحرب بسبب طابعها الجبلي الوعر الذي كان وكرا للجماعات المسلحة

"²².

من خلال هذه الأسطر نجد الروائية تحاول أن تعود بالمتلقي إلى فترة العشرية السوداء التي تمثل مرحلة عاشتها الجزائر بعد الاستقلال، وقد حازت هذه الأحداث جزءا من أحداث الرواية والتي أثرت سلبا على نفسية بطل الرواية "لمين" حين قُتل والده مذبوحا من طرف المتطرفين الإرهابيين.

من خلال هذا الحدث نلمس نسق سياسي وإيديولوجي، تذكر فيه الروائية بعض الأحداث التي تمثل وتجسد مأساة الجزائريين في أحداث العشرية السوداء من تعصب ديني، وجماعات إرهابية وقتل للأبرياء وصولا إلى المصالحة الوطنية.

4.2. الأنوثة والذكورة:

ينشأ المجتمع بالعلاقة الأصلية التي تكون بين الذكر والأنثى ومنهما تنبثق التنظيمات الاجتماعية الأخرى، وقد نشأ من تلك التنظيمات الأسرة كوحدة اجتماعية صغرى يترأسها الذكر الذي يعدّ الركيزة الأساس لتلك المنظومة بينما تكون الأنثى هي المعاون له.

وشاعت هذه الحالة الثقافية في المجتمعات بالاعتماد على ما يتميز به الذكر من مواصفات مُعينة، مثل القدرة على ترجيح العقل على الجانب العاطفي، على عكس الأنثى التي تتمتع بالأحاسيس والعاطفة، فضلا عن تفاوت البنية والتي تميز الذكر بالقدرة البدنية أكثر من الأنثى والتي تُمكنه من تحمل أعباء العمل...إلا أنّ تلك الحالة الثقافية أصابها الانشقاق، والتشظي خصوصا في المجتمعات العربية، وبعد إرهاصات عدّة رست على نوعين الأول منها تعامل مع الأنثى بفوقية، وكان نتيجة هذا العامل وخيمة، وفي رواية "جيم" نجد سارة النمى حاولت التصدي إلى هذه الحالة الثقافية والتي كانت على نسقين ثقافيين هما:

الأول وهو نسق تهيم به السلطة البطريكية بامتياز، فيُبيح لنفسه فعل ما يريد حتى وإن كان يخص أمور محرمة في الدين الإسلامي، بينما يُعيب على الأنثى ذلك هذا ما يظهر في الثقافة العربية التي ساهمت في إنتاج النسق الذكوري المتعاضم، وولدت له ذات مُتعالية ترى فوقيتها على الآخر / الأنثى وهذا ما يظهر في نص الرواية في علاقة لمين بوردة.

فحينما جاء الإسلام مُحللا بعض المسائل ومحرما أخرى فإنه لم يخص بذلك جنسا دون آخر، فحين حرم الزنا كان الحكم واضح ويشمل الجنسين الذكر والأنثى، ولكن في العقود الأخيرة ظهرت ثقافة في المجتمع العربي تُبيح للرجل فعل بعض المحرمات كاشرب الخمر، بينما يكون ذلك محرما على الأنثى، وذلك باتفاق أفراد المجتمع العربي كافة، وتكاد أغلب المؤسسات الثقافية تبارك ذلك فمن خلال رواية جيم نجد ملامح النسقية الثقافية الفوقية في شخصية البطل لمين ودونية الأنثى تجسدت في شخصية وردة.

ويظهر نسق التساوي بين الطرفين وذلك انطلاقا من ثقافة المساواة بين الجنسين فالإنسان يُمكن أن يُصيب ويُمكن أن يخطأ سواء أكان ذكرا أم أنثى، ويُظهر الذكر جانبه الإنساني وتعاطفه مع الآخر/الأنثى بواسطة تمظهر سرد الإنسانية في رواية "جيم"، نتلقى رسالة ثقافية وهي تقبل الذكر أخطاء الأنثى بعقلانية أكثر، وذلك نظرا للظروف الاجتماعية التي تُحيط بتلك الأنثى، ويظهر هذا في اعترافات جيم للمين بقتلها لوالدها جهاد، وعلاقتها مع الشباب مُقابل المال... واعترافات لمين لجيم بقتله لأصدقائه الثلاثة، وأنه سبب وفاة والدته، فمن خلال هذا نلاحظ أن كلا الطرفين تقبل أخطاء الآخر.

5.2. تمثيلات الجسد في رواية جيم:

تحتل تيمة الجسد بوصفه إنتاجاً فنياً؛ فضاءً جمالياً في سرديات ما بعد الحداثة، التي اعتبرت الجسد نسفاً من تنويعات الاشتها، والاستجابة للحميمية... لهذا هيمن "الجسد" بوصفه رمز الهوية على أغلب الدراسات النسوية التي نشطت بدءاً من السبعينيات من القرن العشرين؛ بغرض نقد الأنساق الاجتماعية والثقافية والتحرر من ممارسات السلطة البطريكية، والتراتبية الذكورية السائدة في مختلف المجتمعات عبر العصور²³.

في الثقافة عموماً وفي الأدب خصوصاً، يحوز الجسد كذات سردية متحركة مخاطبة، وكموضوع للخطاب بحضور يفترض فيه أن يخترق الجسم البيولوجي، أيّ أن على الكاتب والمتلقي في ميثاقهما الثقافي، أن يتجاوزا القيمة المادية والأخلاقية للجسد - كما هو منصوب عليه في المجتمع - إلى قيمة فكرية تمنحه صبغته الثقافية وتكسبه قيمته الأدبية في الفن ثم توظيفه فيه.

ومن هنا فإنّ توظيف الجسد في الرواية يعني ذلك جملة القيم الثقافية والحضارية وتجريده من القيم البيولوجية التي تحصره في الواقع، وفي رواية "جيم" نُلقي حضوراً مُغايراً للجسد على عكس حضوره في أعمال سردية نسوية أخرى، وذلك نتيجة اختلاف طرق وأساليب توظيفه في سياقات أخرى وهذا ما أطلق عليه الناقد عبد الله إبراهيم مُصطلح "نصوص المُتعة" والتي تجسدت في العديد من الخطابات السردية النسوية المعاصرة، فالبرغم من أنّ بطلّة الرواية "جيم" مُحاصرة بالعديد من الرجال الذين تعاملوا مع جسدها جنسياً وليس شبقياً مع جسدها الميت، وهذا رغم جاذبية جسد البطلّة جيم إلا أنها لا تحبذ إظهاره ولم تعامله كجسد للاحتفاء الأنثوي ودافع للإثارة، والعناية الجمالية، كنقطة قوة تكتسبها جميع النساء، وهذا ما نلاحظه في قول البطل "لمين" في وصفه لجيم: "تبدو مثل شبح حقيقي بالكاد تبدو امرأة، وليس فيها شيء من علامات الأنوثة، شابة نحيفة ترتدي ملابس واسعة كلها سوداء، كأنها بلباسها الواسع، لا تريد أن تُفصح عن تفاصيل جسدها"²⁴.

فمن خلال هذا تسعى البطلّة لإخفاء جسدها وإضمار مفاتها بُغية رفض كل محاولات الإعجاب والاشتها بها، فإنّ فقدّ الجسد شغف صاحبه والعناية به، اضمحلت صفته التي تصبح لا تتعدّى خانة الجسم البيولوجي، لكن الروائية تعرض جسد البطلّة "جيم" حين جعلته يدخل في علاقات مُتعددة مع ذاتها ومع الرجال الذين تعاملت معهم ومن بين هذه العلاقات نذكر (علاقة جيم بوالدها جهاد، علاقتها مع زوجها الأول لمين، زوجها الثاني التركي -رجل الأعمال-) ومن هنا يُمكننا القول أن جسد جيم يُعدُّ مُعطى وجودي، يظهر لها برؤية مُغايرة ومخالفة عما يراه الآخرون كموضوع لديهم، مما

يجعله في خانة ثقافية، وحالة وجودية كاملة تحدّد لصاحبها مكانته في الكون من خلال الرؤيتين المتناقضتين المتباينتين التي تحيطان به: والتي تظهر في قول والدها جهاد حين اعترف في الأخير أنه ابتغى جعل جسد جيم بؤرة إشكالية وجودية لذاتها وغيرها.

ويذكر جهاد تناقضات حول جسد ابنته كفكرة وبؤرة إشكالية وجودية لذاتها وغيرها ويظهر هذا في قوله: "حاولت أن أمنحك تربية جيدة، أعلمك كل ما تعلمته في الحياة لتكوني الأنثى الجميلة والأنيقة والمثقفة، الأنثى التي تهري أيّ إنسان يُقابلها، ولم أدرك بأنني أنجبتُ مسخاً من جيناتي، انظري إلى نفسك كم أنت قبيحة! ملامحك على الرغم من جمالك مُظلمة، لأنها لا تعكس القبح الذي داخلك، سيدوب أمام فتنك أي رجل، وتلك الفتنة سرعان ما ستدوب أيضاً وتختفي، عندما يكتشف من أنت من الداخل"²⁵.

تجعل هذه الصورة الجدلية البطلة جيم في مفترق متناقضات عالمها الداخلي الدميم والخارجي الفتان، في صورة قبح مكسو بالجمال.. فجيم لا تمتلك جسداً بالمفهوم البيولوجي في متن الرواية، وإنما تملك تمثيلاً له اجتماعياً وثقافياً، وحضارياً يربط بين صورته كذات ميتة عند صاحبته، وصورته المتباينة كموضوع حي وجذاب عند غيرها، والتشكيل الفريد الذي جسده الرواية من خلال هندسة شخصيتها جسدياً ونفسياً، هي أنها تعاملت مع تيمة الجسد كفكرة يتحدد وجودها الفصامي بعلاقاتها المضطربة بين حقيقتها كذات وقناعتها كموضوع حيث تنوعت وتعددت أوجه ظهور الجسد في الروايات الثلاثة: الأولى تسردها جيم عن نفسها، والثانية يسردها ميم، والثالثة يرويها جهاد والد جيم. ومن خلال هذا يمكننا القول أنّ نصّ الرواية نصّ مفتوح وقابل لتأويل فكري وفلسفي

6.2. نسق اللغة:

تعتبر اللغة من أهم الأنساق الثقافية الظاهرة في متن الرواية، وذلك لاستطاعة المبدعة وتمكنها من مزج عدّة أشكال لها، فإلى جانب اللغة العربية الفصحى الغالبة في الرواية، تمكنت سارة النمى أيضاً توظيف صور أخرى للغة لعلّ أهمها التعدد اللغوي من خلال التمازج والتقابل الواضح بين اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية، وبعض العبارات والكلمات الأجنبية (الفرنسية، الإنجليزية) وذلك لكون "السرد حوار اللغات واللهجات كما يُلح النقد الحديث على ذلك"²⁶؛ فالسرد منح للكاتبة القدرة الفعلية على إدراج المستوى الجمالي اللغوي الذي أضفى على رواية "جيم" بُعداً فنياً حديثاً

فتح أمام المُتلقي آفاقا واسعة لتأويل. ومن بين أبرز مظاهر توظيف الروائية للهجة العامية الجزائرية التي دارت بين البطل الرواية وهو السارد الأول "لمين" نرصدها في الآتي:

"القليط"²⁷ " يعطيك الرهج".²⁸ كما وظفت الروائية اللهجة القبائلية باعتبار أنّ عائلة جيم من أصول قبائلية فكان جهاد ووالدته يتحدثان اللهجة القبائلية ونرصدها بعض العبارات منها:

"أزول"²⁹ وهي كلمة تستخدم لتحية وتعني السلام عليكم.

"جهاد يوسادساخام"³⁰ وتعني جهاد عاد إلى البيت.

"أندات جيم"³¹ يسأل جهاد عن مكان تواجد ابنته جيم. نلاحظ من خلال ما سبق توظيف الروائية للهجتين القبائلية ولهجة الغرب -وهران- إلى جانب الفصحى فالتعدد اللغوي برز في هذه الرواية من خلال الازدواج الذي حصل بين اللغة العربية واللهجة العامية، واستعمال الروائية سارة النمى اللهجات المحلية سواء اللهجة الوهرانية أو القبائلية لم يأت اعتباطيا، بل عن قصدية ووعي لتقريب اللغة الدارجة وربطها بكيان الروائي كنسق ثقافي أبرز العنصر السوسيوولساني للهجة الدارجة في الجزائر، وهذا يعود بالفائدة على اللغة لأنه يعمل على تشييد صوته، حيث يقول باختين Bakhtin في هذا السياق: "التهجين القصدي الموجه نحو الفن الأدبي هو إحدى الطرائق الأساسية لبناء صرة اللغة، ويجب أن ندقق أنه في حالة التهجين فإن اللغة التي تضيء (عادة تكون نسقا من اللغة الأدبية المعاصرة) تتخذ طابعا موضوعيا إلى حد ما، لتصبح صورة، وكلما طبقت طريقة في التهجين في الرواية بطريقة واسعة وعميقة... كلما اتخذت اللغة الشخصية والمُضيئة طابعا موضوعيا لتتحول في النهاية إلى إحدى صور لغة الرواية"³² وإضافة إلى اللغة العربية الفصحى والعامية، نجد حضور اللغة الأجنبية الفرنسية والإنجليزية في طيات الرواية، ومن أمثلة ذلك:

"place d'arme"³³ "la beauté sauvage"³⁴ "je suis très désolée"³⁵

"happy birthday"³⁶ "it'sokay"³⁷

من خلال استخدام الروائية لعدّة لغات تداخلت فيما بينها وهي اللغة العربية الفصحى واللغة الفرنسية والإنجليزية واللهجة العامية. وبهذا نستشف أن نسق اللغة قد لعب دورا هاما وفعالا في الرواية فقد شكلا محورا رئيسا محركا للأحداث، فاللغة في هاته الرواية تعدّ إحدى الأنساق الثقافية التي جاءت مُحملة بالذات الأنثوية ذات الروائية التي

استطاعت من خلالها التعبير عن ذاتها وانفعالاتها وآرائها من خلال استخدامها لظاهرة التعدّد اللغوي الذي أضاف جوا من الألفة والحميمية عبرت به الكاتبة عن أبطالها .

الخاتمة:

وما يُمكنني قوله في الأخير أنّ الخطاب الروائي نص مفتوح تتشابك وتتضافر فيه جلّ السياقات الثقافية والاجتماعية والإيديولوجية والدينية، باعتباره النواة المُتضمنة للثقافة التي انبثقت منها الأنساق وكانت بمثابة الثمرة الناتجة عن التفاعلات الحاصلة ذات الطبيعة الاجتماعية والثقافية، ومن جملة النتائج المُتوصل إليها نذكر ما يلي :

- استطاعت الأنساق الثقافية في ولوجها إلى متن الرواية أن تُضفي تكامل وظيفي يكسب النصّ الروائي جمالية خاصة مُستمدّة من حركة المُجتمع، ممّا أكسبه صفة تجريبية، تسعى لتجاوز المألوف إلى ما هو غير مألوف.
- تنوعت وتباينت الأنساق الثقافية في رواية جيم بين الكشف عن المسكوت عنه (الدين، السياسة، الجنس) قيمة الجسد، الأنوثة والذكورة ونسق اللغة.
- أجادت الروائية سارة النمّس من إثراء خطابها الروائي في روايتها "جيم"، وذلك بتوظيفها لمُعظم الأنساق الثقافية التي أسفرت من خلالها عن هويتها وانتمائها الحضاري والثقافي.
- رامت الروائية الكشف عن المسكوت عنه قصد تصحيح الرُؤى ومُعالجة قضايا، وتصحيح أخطاء تُقترف باسم الدين، وتعرية مُمارسات تتخذ منه.

الهوامش:

- ¹ - ينظر: العمريوزهره- مهدية ساهل، الأنساق الثقافية: المفهوم والاشتغال، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 14، العدد 02، 2021، ص 284.
- ² - ضياع الكعبي: السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر والتوزيع، ط2، الدار البيضاء، المغرب، ص 08.
- ³ - عبد الفتاح كليطو: المقامات، السرد والأنساق الثقافية، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر والتوزيع، ط2، الدار البيضاء، المغرب، ص 08.
- ⁴ - عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط2، لبنان، بيروت، ص 77.
- ⁵ - المرجع نفسه، ص 66.
- ⁶ - يوسف عليما: جماليات التحليل الثقافي- الشعر الجاهلي نموذجاً- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2004، ص 15.
- ⁷ - فريدة نوي: تجليات الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة "الأسود يليق بك لأحلام مستغانمي أنموذجاً"، أوراق المجلة الدولية للدراسات الأدبية و الإنسانية، باتنة، الجزائر، مجلد 2، العدد 1 مارس 2020، ص 63.
- ⁸ - <https://www.independentarabia.com>
- ⁹ - شمري أحلام: تمظهرات المحظور الديني في روايات آسيا جبار، مجلة المعيار، مجلد: 26، عدد 3، 2021، ص 1146.
- ¹⁰ - نورمان فاركوف: تحليل الخطاب، التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: د طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، ديسمبر 2009، ص 19.
- ¹¹ - القحطاني سعيد بن علي بن وهف: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، السعودية، 2008، ص 119.
- ¹² - سارة النميس: جيم، دار الآداب بيروت، 2019، ص 59.
- ¹³ - الرواية، ص 140.
- ¹⁴ - أحلام شمري، تمظهرات المحظور الديني في روايات آسيا جبار، ص 1149.
- ¹⁵ - سورة المائدة، الآية 90.
- ¹⁶ - الرواية، ص 07.
- ¹⁷ - الرواية، ص 10.
- ¹⁸ - سورة النور، الآية 02.
- ¹⁹ - الرواية، ص 37.
- ²⁰ - الرواية، ص 37.
- ²¹ - الرواية، ص 37.

²²- الرواية، ص 38.

²³- جميلة بكوش: معالم النقد الثقافي في الجزائر، دار خيال للنشر والترجمة، 2021، ص 128.

²⁴- الرواية، ص 18.

²⁵- الرواية، ص 221.

²⁶- صلاح فضل: أساليب السرد في الرواية العربية، المدى للنشر والتوزيع، ط1، دمشق - سوريا، 2003، ص 154.

²⁷- الرواية، ص 12.

²⁸- الرواية، ص 102.

²⁹- الرواية، ص 68.

³⁰- الرواية، ص 68.

³¹- الرواية، ص 68.

³²- فريدة نوي: تجليات الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة "الأسود يليق بك لأحلام مستغانمي أنموذجاً"، ص 73.

³³- الرواية، ص 11.

³⁴- الرواية، ص 20.

³⁵- الرواية، ص 24.

³⁶- الرواية، ص 171.

³⁷- الرواية، ص 165.